

أستانا

مسار القضاء على الثورة السّورية

اعداد مركز الخطابي للدراسات

AL - KHATTABI
KRW
FOR STUDYING REVOLUTIONARY WARS

KH_ATTABI_RW

2019

"أستانا"

مسارُ القضاءِ على الثورة السوريّة



إعداد مركز الخطابي للدراسات: ٢٠١٩/١١/٢٨

مقدّمة

اندلعت الثورة السورية في مارس/آذار ٢٠١١، ومع توجّه الانتفاضة نحو التسلح، انقسم المجتمع الدولي بين داعم للأسد ومعارض له، فكانت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وتركيا أبرز المنادين برحيل الأسد، وكانت روسيا والصين وإيران أبرز المؤيدين لبقائه. وحتى سنة ٢٠١٥، كانت الأطراف الدولية تؤيد حلفاءها بالمواقف السياسية الدولية والمواد اللوجستية والأموال، ولم يكن أحد منها قد تورّط ميدانيا في الحرب. إلا أن اقتراب تنظيم الدولة من السيطرة على كوباني شمال شرق سوريا كان ذريعةً للدخول الأمريكي المباشر (يناير/ كانون الثاني ٢٠١٥)، حيث قامت الولايات المتحدة بتوفير الغطاء الجوي للميليشيات الكردية الانفصالية، مما مكّنهم بعد ذلك من السيطرة على محافظة الرقة وريف الحسكة وريف دير الزور الشمالي وأجزاء من ريف حلب الشمالي. بينما كان تحرير محافظة إدلب سببا في التدخل الروسي والإيراني المباشر (سبتمبر/أيلول ٢٠١٥) الذي أمّن أيضا تغطية جوية ومدفعية وميليشيات رديفة لقوات الأسد.

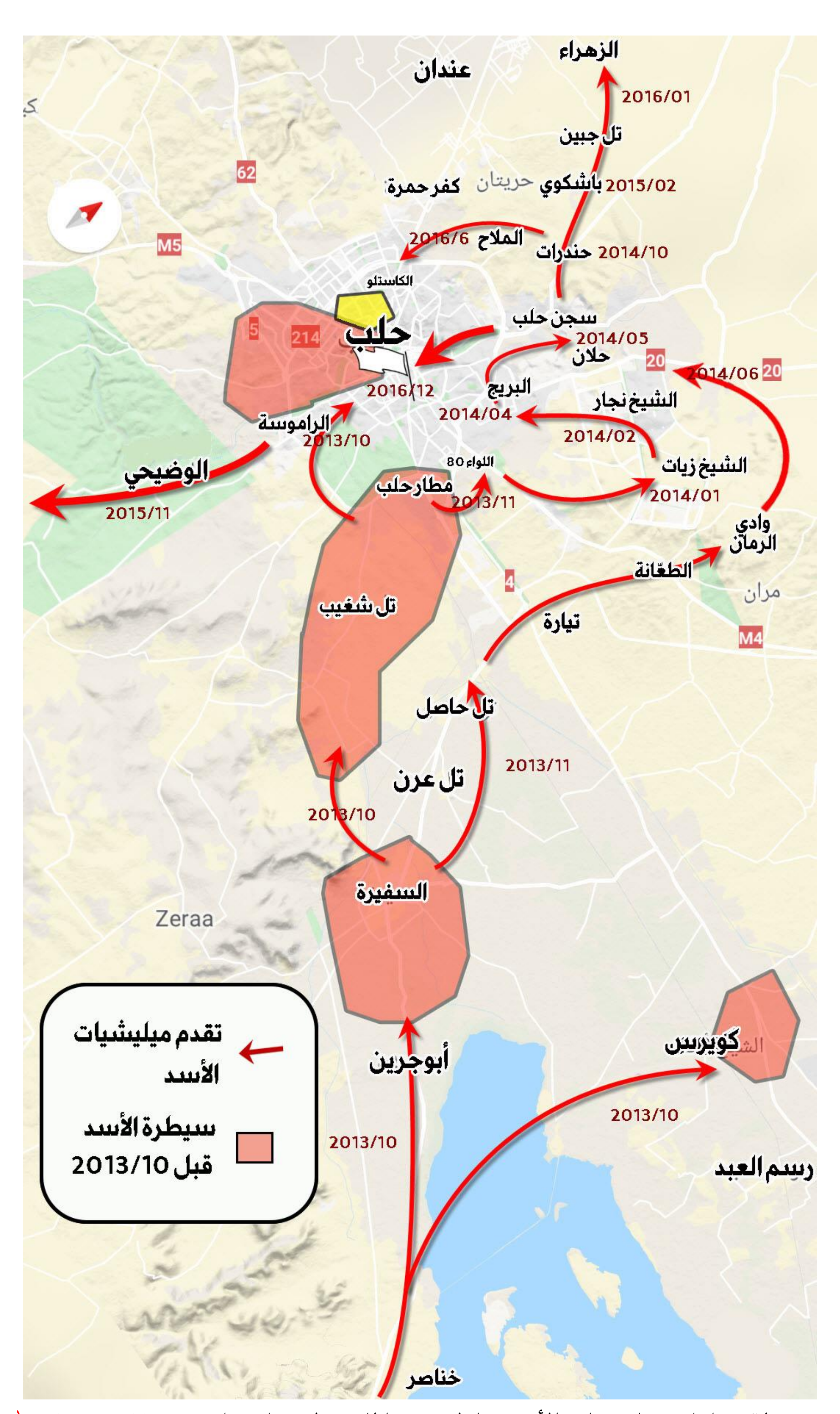
في هذا المشهد الدولي المعقد، كانت تركيا في موقف لا تحسد عليه، حيث حصل عدوها الأول (الميليشيات الكردية الانفصالية) على تحالف مع أكبر قوة دولية على وجه الأرض، بينما حصل الأسد العدو الثاني لها على دعم مباشر وميداني من قبل القوّة العظمى الثانية. في السياق الآخر، وجدت روسيا وإيران مقاومة شديدة في الشمال السوري، حيث فشلت حملة الاجتياح التي انطلقت مطلع سنة ٢٠١٦، وأرادت السيطرة على ريف حلب الجنوبي وريف حماة الجنوبي وريف اللاذقية الشرقي، غير أنها لم تحقق أهدافها المرجوّة في ظل اشتعال كل الجبهات في البلاد السورية بشكل متزامن. وهنا التقت الرؤية التركية -التي أرادت وقف المشروع الانفصالي الكردي- مع الرؤية الروسية الإيرانية -التي أرادت إخماد الجبهات الثورية لتستفرد بها واحدة تلو الأخرى- في مشروع مفاوضات سياسية، سُمّي بعد ذلك بمسار "أستانا".

في ٢٣ يناير ٢٠١٧، أي بعد شهر واحد من سيطرة الاحتلال على مدينة حلب الاستراتيجية، انعقدت في العاصمة الكازاخستانية" أستانا" أولى محادثات السلام بين ممثلي النظام السوري وعدد من قادة فصائل المعارضة السورية برعاية روسية وتركية. ثم بلغت محطتها الثالثة عشر في آب/أغسطس ٢٠١٩.

فما الذي حلّ بسوريا خلال مسار أستانا؟ وما الذي حققه كل طرف من هذه المفاوضات؟

تنويه: كل الإحصاءات الإنسانية التي تم ذكرها في البحث مصدرها: "الشبكة السورية لحقوق الإنسان".

http://sn4hr.org/arabic/#

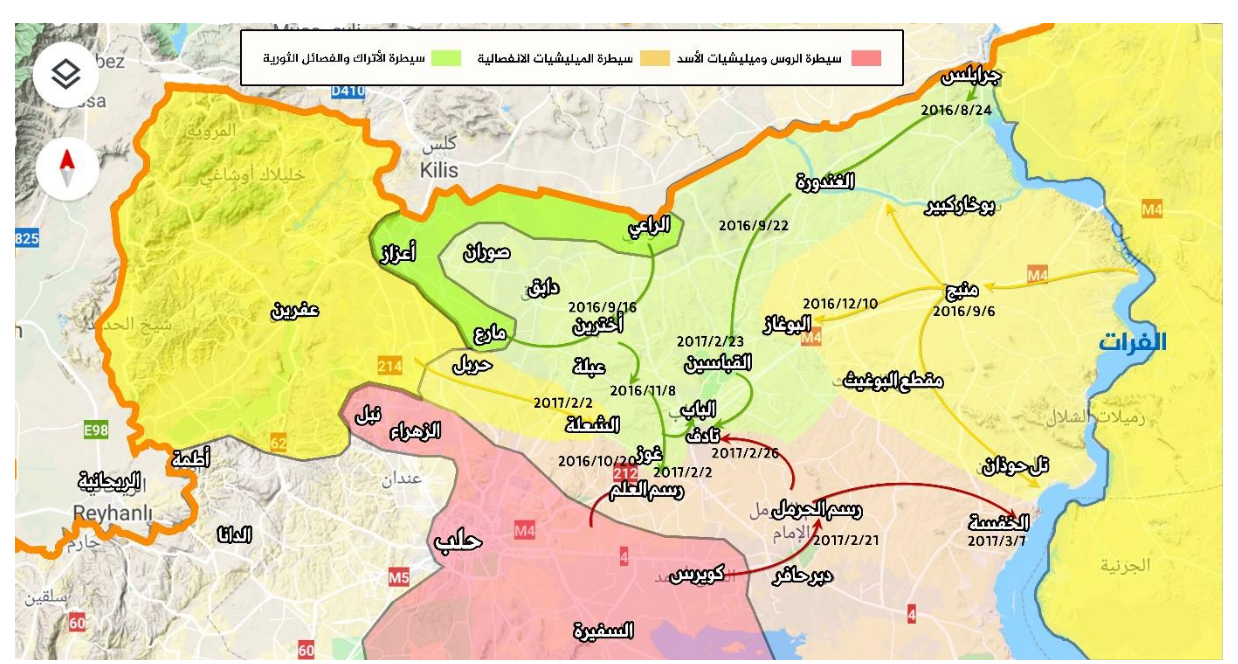


خريطة عمليات ميليشيات الأسد خلال سعيها للسيطرة على حلب بين ٢٠١٣ و٢٠١٦[١]

[١] دخل الثوار الأحياء الشرقية لحلب منذ أغسطس ٢٠١٢، بما في ذلك صلاح الدين وأجزاء من الحمدانية. وفي ١ يناير سيطروا على المسجد الأموي. وخلال ٢٠١٣ سيطروا أيضا على حي الشيخ نجار، كما قاموا بمحاصرة سجن حلب المركزي. ولكن في أكتوبر ٢٠١٣ استطاعت قوات الأسد إعادة وصل طريق أثريا خناصر بالسفيرة ومعامل الدفاع والراموسة، وفك الحصار عن مطار كويرس. وبعد شهر واحد في نوفمبر ٢٠١٣ تمكنت الميليشيات من السيطرة على تل حاصل وتل عرن والسيطرة على اللواء ٨٠ بالقرب من مطار حلب الدولي. ثم في الشهر الأول من سنة ٢٠١٤ توسعت ميليشيات الأسد نحو الشيخ زيات، لتسيطر في فبراير ٢٠١٤ على قرية الشيخ نجار. ومن الشيخ نجار استطاع الأسد أن يجتاح البريدج ويسيطر

أستانا (1): 23 يناير/كانون الثاني 2017.

عُقدت الجولة الأولى من مفاوضات أستانا، بعد اتفاق وقف إطلاق النار عقب خروج المعارضة السورية المسلحة من أحياء حلب الشرقية (٢٢ ديسمبر ٢٠١٦)، وتزامنا مع سيطرة القوات التركية وفصائل الثوار مدينة الباب وأجزاء واسعة من ريف حلب الشمالي.



خريطة عملية "درع الفرات"[٢]

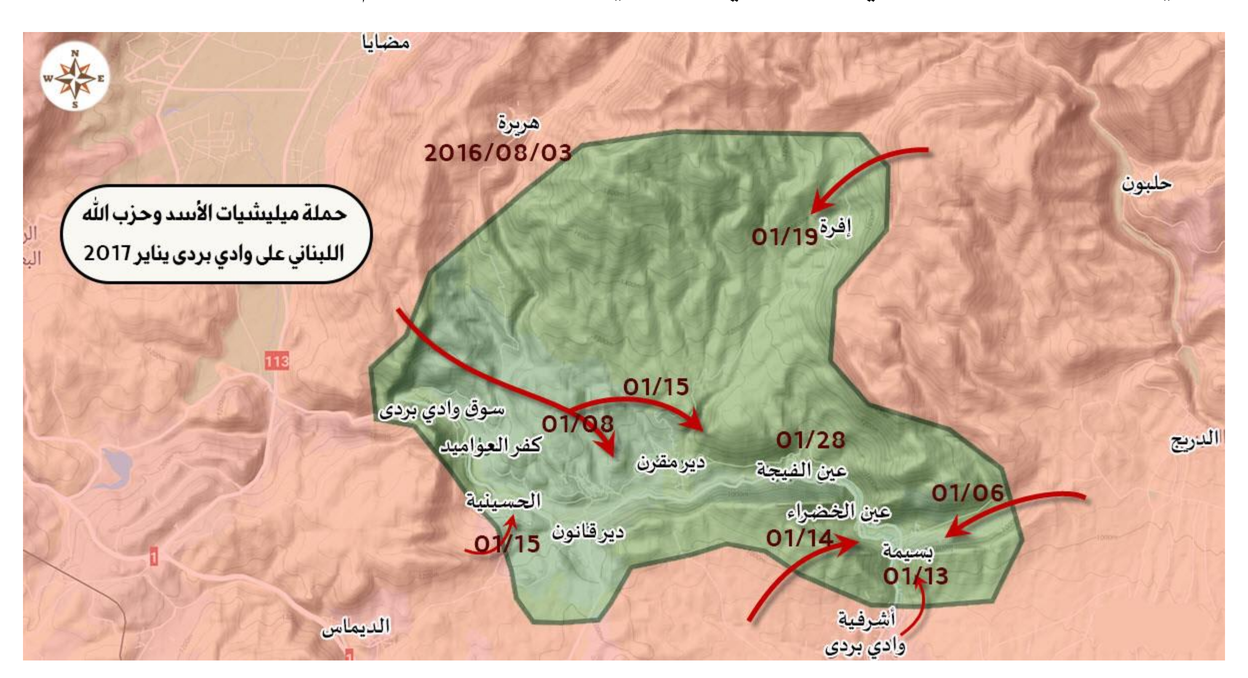
عليها في أبريل ٢٠١٤، وليسطر بعدها على حلان في شهر ماي، ويفك الحصار عن السجن المركزي. وبعدها بشهر واحد أكملت الميليشيات السيطرة على مدينة الشيخ نجار الصناعية في يونيو ٢٠١٤.

في أكتوبر ٢٠١٥ بعد دخول القوات الروسية انطلق الاحتلال بحملة كبيرة في ريف حلب الجنوبي، فاستطاع السيطرة على الوضيحي والحاضر وصولا إلى تلة العيس الاستراتيجية، ثم في يناير ٢٠١٦ استطاع وصل حلب بنبل والزهراء المحاصرتين ومحاصرة الثوار في ريف حلب الشمالي، وفي الشهر السادس من سنة ٢٠١٦ سيطر الأسد على الملاح، وقطع الطريق الأخير للثوار نحو حلب (طريق الكاستيلو)، وبعد عمليات اجتياح واسعة على الثوار المحاصرين في حلب تمكنت عصابة الأسد من السيطرة على حلب بشكل كامل في ديسمبر ٢٠١٦، وأجبرت السكان المتبقين داخل حلب على الهجرة القسرية نحو إدلب.

[٢] انطلقت عملية درع الفرات ضد تنظيم الدولة في أغسطس ٢٠١٦، تزامنا مع عمليات حصار اجتياح حلب المدينة التي كانت تقوم بها ميليشيات الأسد. تمكنت فصائل الثوار وقوات الجيش التركي البرية والجوية من السيطرة على جرابلس في ٢٤ أغسطس وطرد تنظيم الدولة منها، واستطاعت في ١٦ سبتمبر السيطرة على أخترين وتطويق تنظيم الدولة في دابق وصوران. وفي نفس الشهر تمكنت من السيطرة على جميع المناطق المحاذية للحدود بين جرابلس ومارع. وخلال أربعة أشهر تقريبا كانت هذه القوات قد حاصرت الباب من الشرق بعد سيطرتها على قباسين ومن الغرب بعد سيطرتها على غوز، لتدخلها أخيرا في مارس ٢٠١٧. وتزامنا مع هذه العملية كانت ميليشيات الأسد تتقدم شرقا في ريف حلب الشمالي والشرقي، فاستطاعت السيطرة على رسم الحرمل وتادف ورسم العلم في فبراير ٢٠١٧، ثم على الخفسة في مارس. كما كانت أيضا

أهم ما جاء في مفاوضات الجولة الأولى: التأكيد على الحل السياسي في سوريا، واستبعاد الحل العسكري، كما ذكر البيان النهائي أن "الوفود المشاركة في مفاوضات أستانا" تصرّ على محاربة تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة (سابقا)، وتسعى إلى فصل الجماعات الإرهابية عن بقية مجموعات المعارضة. كما اتفقت الأطراف الروسية والتركية والإيرانية على فرض هدنة في سوريا (وقف إطلاق النار) وإنشاء آلية ثلاثية لمراقبة تنفيذها، حيث تعهدت موسكو بإجبار ميلشيات الأسد على وقف الأعمال القتالية.

الجدير بالذكر أن عمليات الأسد الهجومية ومحاولات الاستيلاء على مناطق المعارضة لم تتوقف، وخاصة في وادي بردى بريف دمشق، فبعد ٣٨ يوما من المعارك المستعرة، تم تهجير نحو ١٢٠٠ مقاتلا من المعارضة بصحبة عائلاتهم، بينهم سبعون جريحا، حيث نُقلوا قصرا إلى محافظة إدلب شمالي سوريا نهاية يناير/كانون الثاني ٢٠١٧، أي بعد سريان هدنة أستانا بأيام قليلة.



خريطة حملة قوات الأسد على وادي بردى[3]

ميليشيات "قسد" تتقدم غربا من ريف الرقة، فسيطرت على منبج في سبتمبر ٢٠١٦ ثم توسعت غربها وشمالها وجنوبها عدة كيلومترات. وكما تقدمت شرقا من عفرين لتسيطر على حربل والشعلة في فبراير ٢٠١٧.

[3] استولى الثوار السوريون على قرية سوق وادي بردى في فبراير ٢٠١٢. وفي يوليو ٢٠١٦، تقدمت قوات الأسد إلى قرية هريرة في وادي بردى. وبحلول ٣ أغسطس، تمكنت من السيطرة عليها. ثم في ٦ يناير شنت الميليشيات هجوما على قرية بسيمة التي يسيطر عليها الثوار، واستولوا على عدة مواقع وتلال مطلة على القرية. وبحلول ٨ يناير، تمكنت ميلشيات الأسد من السيطرة على التلال الشمالية الغربية من دير مقرن، وأهمها تل ضهر المسابي. وفي ١٣ يناير، استولت على بسيمة، وبعد يوم واحد استولت على عين الخضراء. في ١٥ يناير تقدمت القوات بقيادة حزب الله في ضواحي عين الفيجة، واستولت على

هذا مع استمرار القصف الروسي والأسدي لمناطق المعارضة في ريف حماه وأرياف إدلب (جبل الأكراد وجسر الشغور). أما في حي الوعر المحاصر في حمص، فقد بدأت مليشيات الأسد في السابع من شباط ٢٠١٧ بتصعيد القصف، ما اضطر معظم الأهالي لالتزام الملاجئ طيلة تلك الفترة. وفي جنوب سوريا مع دخول الشهر الثاني لوقف إطلاق النار تحولت الخروقات إلى هجوم مدعوم بالطيران الروسي وقصف مدافع الفيل على أحياء درعا البلد.

أستانا (2): 15 فبراير/شباط 2017.

أبرز ما جاء في هذه الجولة: تشكيل مجموعة عمل ثلاثية (روسية تركية إيرانية) لمراقبة وقف الأعمال القتالية، وتشكيل آلية لتبادل المعتقلين بين قوات النظام والمعارضة المسلحة. وأكدت المعارضة أنها لن تبحث أي مواضيع سياسية ما لم يتم تثبيت إنجاز حقيقي على أرض الواقع يتمثل في تثبيت وقف إطلاق النار وإيجاد صيغة عملية لإيصال المساعدات الإنسانية وبحث ملف المعتقلين. وقد ترافق مسار أستانة (٢) مع هجوم عنيف على الغوطة الشرقية منذ مطلع شباط/فبراير ٢٠١٧.

تل رأس الصيرة شمال البلدة، وعلى الجانب الآخر، سيطرت قوات الأسد على معظم الحسينية بعد أن وافق الشيوخ المحليين على اتفاق لوقف إطلاق النار مع النظام. وفي ١٩ يناير، استولت قوات الأسد على قرية إفرة.

وفي ٢٦ يناير، تم التوصل إلى اتفاق آخر بين الأسد ومقاتلي المعارضة، حيث أفادت التقارير باستسلام ٢،٦٠٠ من الثوار. في ٢٨ يناير، تراجع الثوار أخيرا من عين الفيجة باعتبارها "بادرة حسن نية" لتنفيذ اتفاق السلام الذي أبرم في ٢٦ يناير. وبعد ذلك سيطرت الميليشيات الموالية للنظام على البلدة، وقالت إنها ستسمح لبقية قوات المعارضة في الوادي بالمغادرة إلى محافظة إدلب. وبعد ذلك بيوم أعلن الأسد السيطرة الكاملة على وادي بردى.

أستانا (3): 14 مارس/آذار 2017.

قاطعت المعارضة السورية الجولة الثالثة من المفاوضات التي انطلقت في ١٤ مارس/آذار ٢٠١٧، وذلك بسبب عدم التزام الأسد وحلفائه بوقف إطلاق النار. كان أبرز ما في هذه الجولة أن روسيا قدمت اقتراحات حول وضع دستور جديد للبلاد. وأكد البيان الختامي لهذه الجولة اتفاق الدول الضامنة على تشكيل لجان لمراقبة الهدنة والخروق، ولجان لمتابعة ملف المساعدات، ولجان لمتابعة ملف الأسرى والمعتقلين.

لكن خروقات الهدنة بقيت مستمرة بشكل كبير في الجنوب السوري وفي كل من إدلب والغوطة الشرقية. تبعها في شهر نيسان/أبريل هجوم خان شيخون بالسلاح الكيماوي من قبل النظام السوري الذي أسفر بحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان عن مقتل ٩١ مدنيا، بينهم ٣٢ طفلا و٢٣ امرأة، وإصابة ٥٢٠ آخرين. كما تم تهجير قوات المعارضة والكثير من أهالي مضايا والزبداني فيما عرف إعلاميا باتفاق المدن الأربع، وذلك في ١٢ أبريل/نيسان ٢٠١٧، أي بعد شهر واحد من مفاوضات أستانا (٣) للسلام في سوريا.

كما استكملت عصابات الأسد حملتها العسكرية على حي الوعر الحمصي، مما دفع المعارضة إلى الموافقة بشكل أولي على عملية التهجير القسري باتجاه مدينة جرابلس في ريف حلب الشمالي، على أن تخرج الدفعات الأخرى تباعاً إلى محافظة إدلب وريف حمص الشمالي. هذا مع تسليم الحي للشرطة العسكرية الروسية خلال شهرين، اعتباراً من تاريخ توقيع الاتفاق في منتصف آذار/مارس ٢٠١٧. وقد خرجت الدفعة الأخيرة من حي الوعر المحاصر في أواخر مايو/أيار ٢٠١٧.

أستانا (4): 4 مايو/أيار 2017.

أبرز ما نتج عن هذه المفاوضات هو "اتفاق مناطق خفض التصعيد"، إذ اتفق الثلاثي الضامن على إنشاء أربع مناطق لخفض التصعيد، وتشمل هذه المناطق:

1. كامل محافظة إدلب وأجزاء من ريفي اللاذقية وحلب الغربي.
2. الغوطة الشرقية بريف دمشق.
3. وريف حمص الشمالي.
4. جنوب سورية (ريف درعا والقنيطرة).

وقد أكدت روسيا أنه سيتم تطبيق اتفاق خفض التصعيد لمدة ستة أشهر قابلة للتمديد، في حين أعلن وفد المعارضة أنهم ليسوا جزءا من الاتفاق.

بعد شهر واحد من جولة المفاوضات الرابعة في أستانا، بدأت قوات النظام وحزب الله اللبناني في ٧ يونيو الهجوم على معاقل المعارضة في درعا البلد وطريق السد ومنطقة المخيم، وقد تمكنت فعلا من الاستيلاء على معظم منطقة المجمع المدرسي في ضاحية مخيم درعا، كما تقدمت في نفس الوقت باتجاه قاعدة الدفاع الجوي جنوب غرب المدينة بالقرب من الحدود الأردنية، إلا أنها انسحبت منها على إثر هجمات الثوار بعد أن استولت عليها لفترة وجيزة.

وفي شهر يوليو ٢٠١٧ أيضا، وقعت الفصائل المسلحة في الغوطة الشرقية مع الطرف الروسي على اتفاق القاهرة، الذي تم انجازه برعاية مصرية في ٢٢ يوليو/ تموز. ويعدّ هذا الاتفاق استثنائيا وخارجا عن مسار أستانا، وقد تضمن هدنة خاصة بالغوطة الشرقية وفتحا للمساعدات الإنسانية بضمانة روسية.

وفي يوليو ٢٠١٧ كانت ميليشيات الأسد قد توسعت كثيرا على حساب تنظيم الدولة، وسيطرت على مسكنة وريف حلب الشرقي واقتربت من حدود محافظة الرقة.

أستانا (5): 4 يوليو/تموز 2017.

في هذه الجولة، لم تتمكن الدول الثلاثة الضامنة -وهي روسيا وتركيا وإيران- من التوافق على رسم حدود مناطق خفض التصعيد في سوريا، وبعد يومين من التفاوض تم تحديد اجتماعين لاحقين في الأول والثاني من أغسطس/آب ٢٠١٧ في إيران، وذلك للاتفاق على تحديد خرائط المنطقتين: الثانية والثالثة. بعد هذه المفاوضات مباشرة، شنت عصابات الأسد حملة عسكرية على كل من أحياء (القابون، برزة، تشرين) في العاصمة دمشق، وذلك تزامنا مع تنفيذ حملات قصف مكثفة على الأحياء السكنيّة، وهو ما دفع المعارضة هناك نحو قبول التهجير القسري إلى الشمال السوري.

وبحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان، فإن عصابة الأسد قد أسقطت على كل من محافظة درعا، وريف دمشق، وحماة، وحمص؛ ما مجموعه ٢٤٤ برميلاً مُتفجراً في تموز/يوليو ٢٠١٧ (أي في نفس الشهر الذي حدثت فيه مفاوضات أستانا (٥)).

وبعد شهر واحد من أستانا (٥)، في أغسطس ٢٠١٧، استطاعت مليشيات الأسد أن تتقدم مجددا على حساب تنظيم الدولة لتسيطر على بلدة السخنة وريف حمص الشرقي، ولتقترب أكثر من مدينة دير الزور المحاصرة من قبل التنظيم.

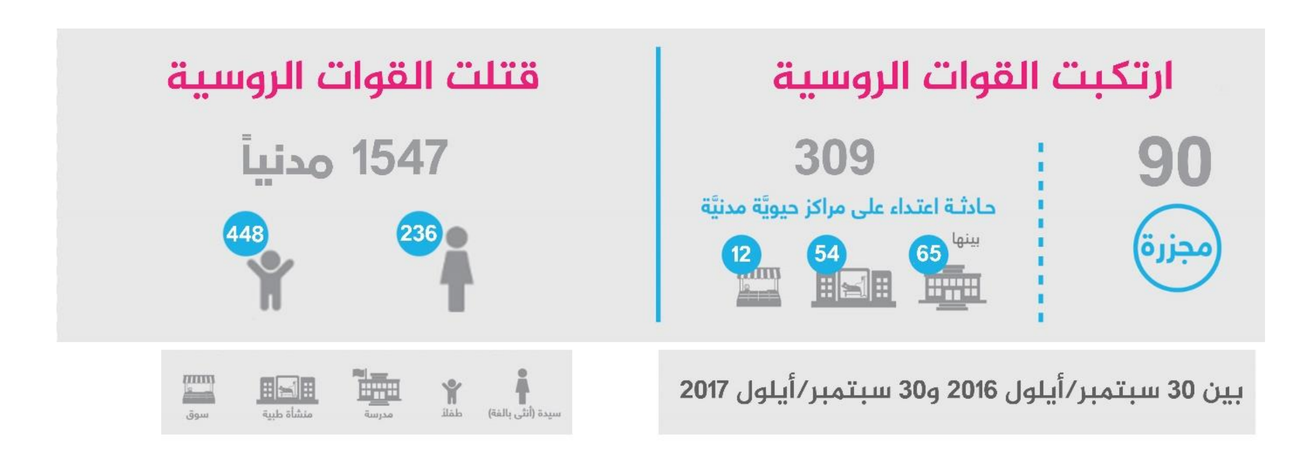
أستانا (6): 14 سبتمبر/أيلول 2017.

تمخضت هذه الجولة عن رسم حدود مناطق خفض التصعيد الأربع، خصوصاً منطقة إدلب التي بقيت محل خلاف في الجولات السابقة. وقد دارت المفاوضات في هذه الجولة بين وفود الدول الضامنة (تركيا وروسيا وإيران)، كما شارك فيها لأول مرة: وفد من الولايات المتحدة، ووفد من الأمم المتحدة برئاسة المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا ستيفان دي ميستورا. وكذلك وفد أردني، ووفد قطري بصفة مراقبين.

الجدير بالذكر أن هذه المفاوضات جرت بعد عدة شكاوى من المعارضة والناشطين بشأن عدم التزام النظام باتفاق خفض التصعيد في العديد من المناطق، غير أن مشاركة المعارضة في مؤتمر أستنا (٦) لم توقف من خروقات النظام، التي كان أبرزها حملة القصف الهمجية على كل من محافظة إدلب وحماة. كما استطاع الاحتلال الروسي وميليشياته في سبتمبر ٢٠١٧ أن يحقق نصرا كبيرا على حساب تنظيم الدولة، ويفك الحصار عن مدينة دير الزور، ويسيطر بالكامل على ريف الرقة الشرقي.

وبين ٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٦ و٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٧، أي في السنة الأولى من عمر مفاوضات أستانا، بلغت عدد المجازر التي ارتكبتها القوات الروسية وميلشيات الأسد ٩٠ مجزرة، وتسببت

الضربات الجوية لوحدها في مقتل ١٥٤٧ مدنيا، بينهم ٤٤٨ طفلاً، و٢٣٦ سيدة. كما قامت بالاعتداء على ٣٠٩ منشأة حيوية، بينها ٦٥ مدرسة، و٥٤ على منشأة طبيّة، و١٢ سوق.

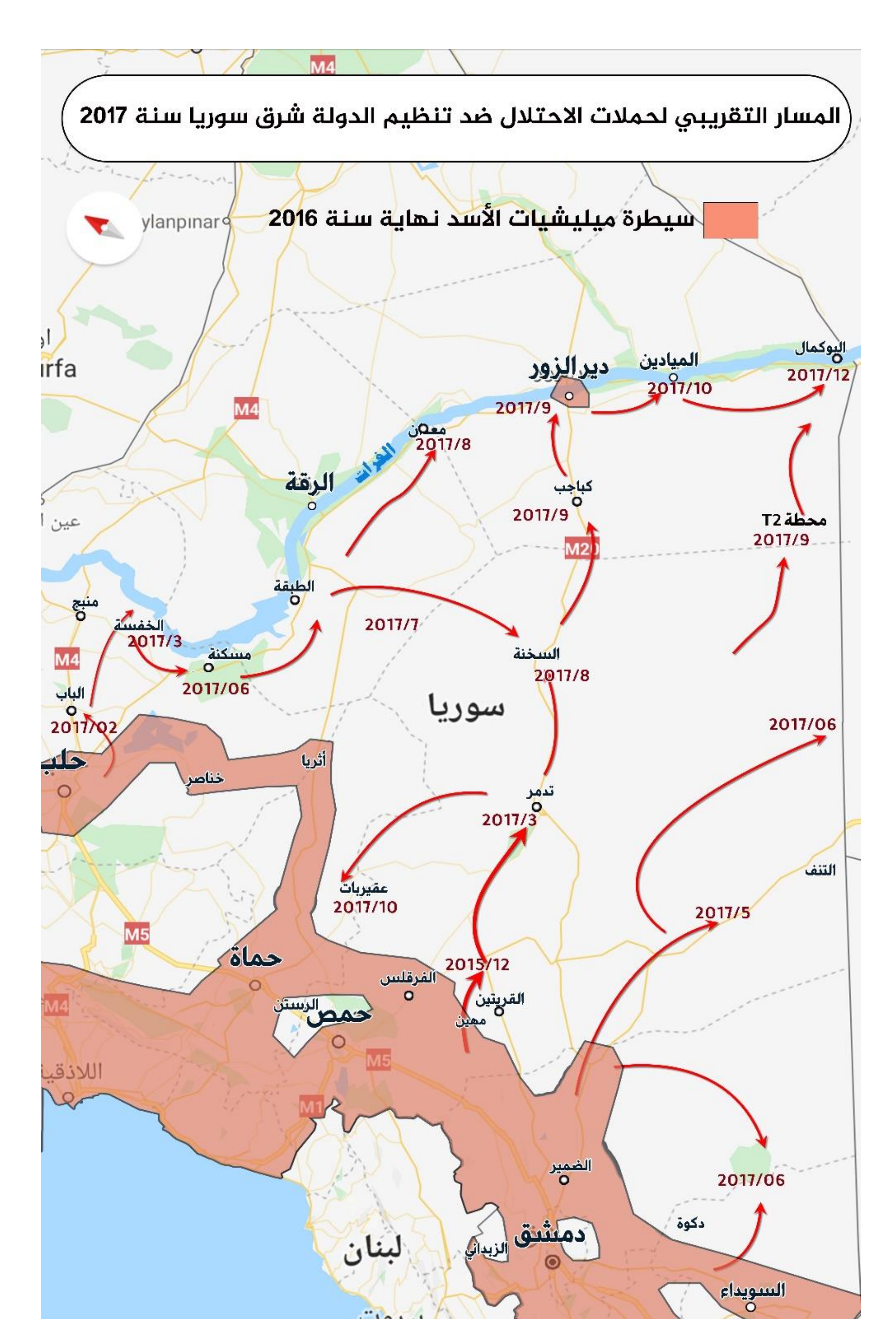


أستانا (7): 30 أكتوبر/تشرين الأول 2017.

حضر هذه المفاوضات وفود من الدول الضامنة (روسيا وتركيا وإيران) وعدد من الدول المراقبة. والتقى فيها وفد المعارضة مسؤولين من فرنسا والأردن، كما طالب فيها الروس تركيا بفرض الاستقرار في محافظة إدلب. وقد تضمنت مناقشات الجولة السابعة: ملف المعتقلين في سجن حمص المركزي وإضرابهم ومحاولات النظام تضليل وفد الصليب الأحمر الذي أتى لزيارتهم.

الجدير بالذكر أن اجتماعات أستانا (٧) قد فشلت في الوصول إلى توافق بشأن تبادل الأسرى والمعتقلين، كما عجزت عن ضمان السماح بدخول المساعدات الإنسانية دون انقطاع إلى المناطق المحاصرة. وعلى الرغم من اندراج الغوطة الشرقية في اتفاقية القاهرة واتفاقية أستانا، إلا أن ميلشيات الأسد قد كثفت من قصفها في منتصف نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧، ومنعت إدخال الطعام والدواء إليها، الأمر الذي تسبب في وقوع مزيد من الوفيات، خصوصا بين الأطفال.

وبعد شهر واحد من انعقاد أستانا (٧)، تمكنت قوات الاحتلال الروسي ومليشياتها الرديفة من عصابات الأسد أن تسيطر بشكل كامل على مدينة البوكمال الحدودية وباقي أرياف دير الزور الجنوبية.



خريطة عمليات ميليشيات الأسد خلال سعيها للسيطرة المناطق الشرقية.[٤]

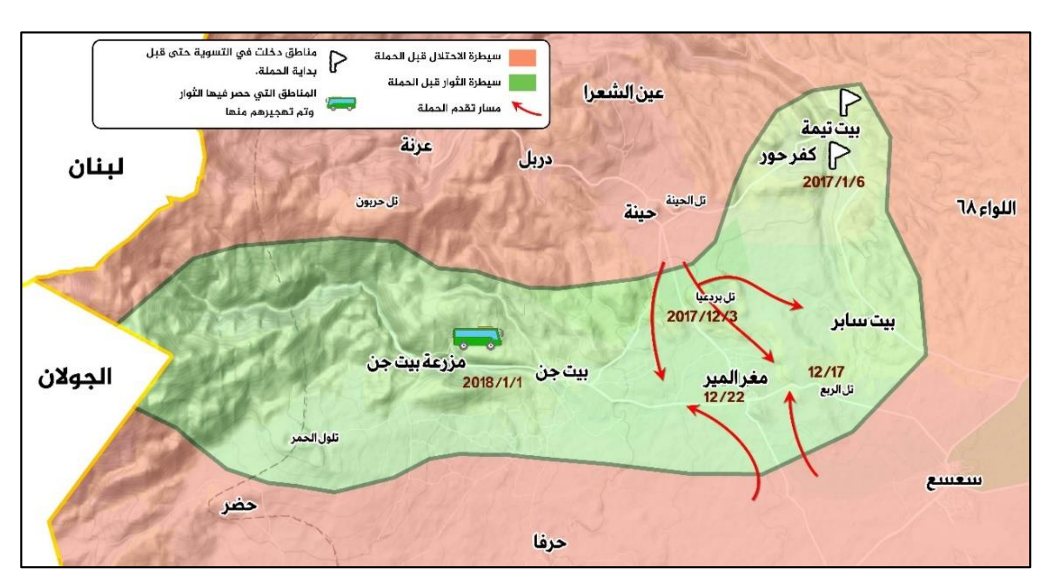
---

[٤] استغلت ميليشيات الأسد اتفاقيات خفض التصعيد لتنافس الميليشيات الكردية في السيطرة على مناطق نفوذ تنظيم الدولة شرق سوريا. في سبتمبر ٢٠١٥ استطاع الأسد أن يسيطر على بلدتي مهين والقريتين، وفي مارس ٢٠١٧ تمكن من الاستلاء على تدمر بشكل كامل وطرد التنظيم منها بشكل نهائي، وفي يونيو ٢٠١٧ توسع في بادية حمص والسويداء على حساب الثوار بعد وصوله إلى توافق مع الأردن. ليتمكن أخيرا من فك الحصار عن قواته في دير الزور في الشهر التاسع من سنة ٢٠١٧، ثم السيطرة على البوكمال في الشهر الثاني عشر، والقضاء بشكل كامل على تنظيم الدولة غرب الفرات إلا بعض الخلايا النائمة.

أستانا (8): 21 ديسمبر/كانون الأول 2017.

تمخضت الجولة الثامنة عن تحديد موعد مؤتمر سوتشي في روسيا نهاية يناير/كانون الثاني ٢٠١٨، وذلك لإجراء حوار بين المعارضة والنظام. وقد أثار هذا المؤتمر جدلاً واسعا بعد عقده. كما تمخضت الجولة الثامنة على تشكيل مجموعتي عمل بخصوص ملف المعتقلين في سجون النظام وإزالة الألغام، ولكن هاتين المجموعتين بقيت حبراً على ورق.

ومع نهاية شهر ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧، أي في نفس الشهر الذي انعقد فيه أستانا (٨)، حدثت عملية تهجير قسري بحق أهالي منطقة بيت جن، وذلك على إثر عملية عسكرية ضخمة شنَّتها ميلشيات الأسد على بلدات الغوطة الغربية، استمرت لأكثر من ١١٨ يوما وانتهت بإرغام الثوار على توقيع اتفاق التهجير.

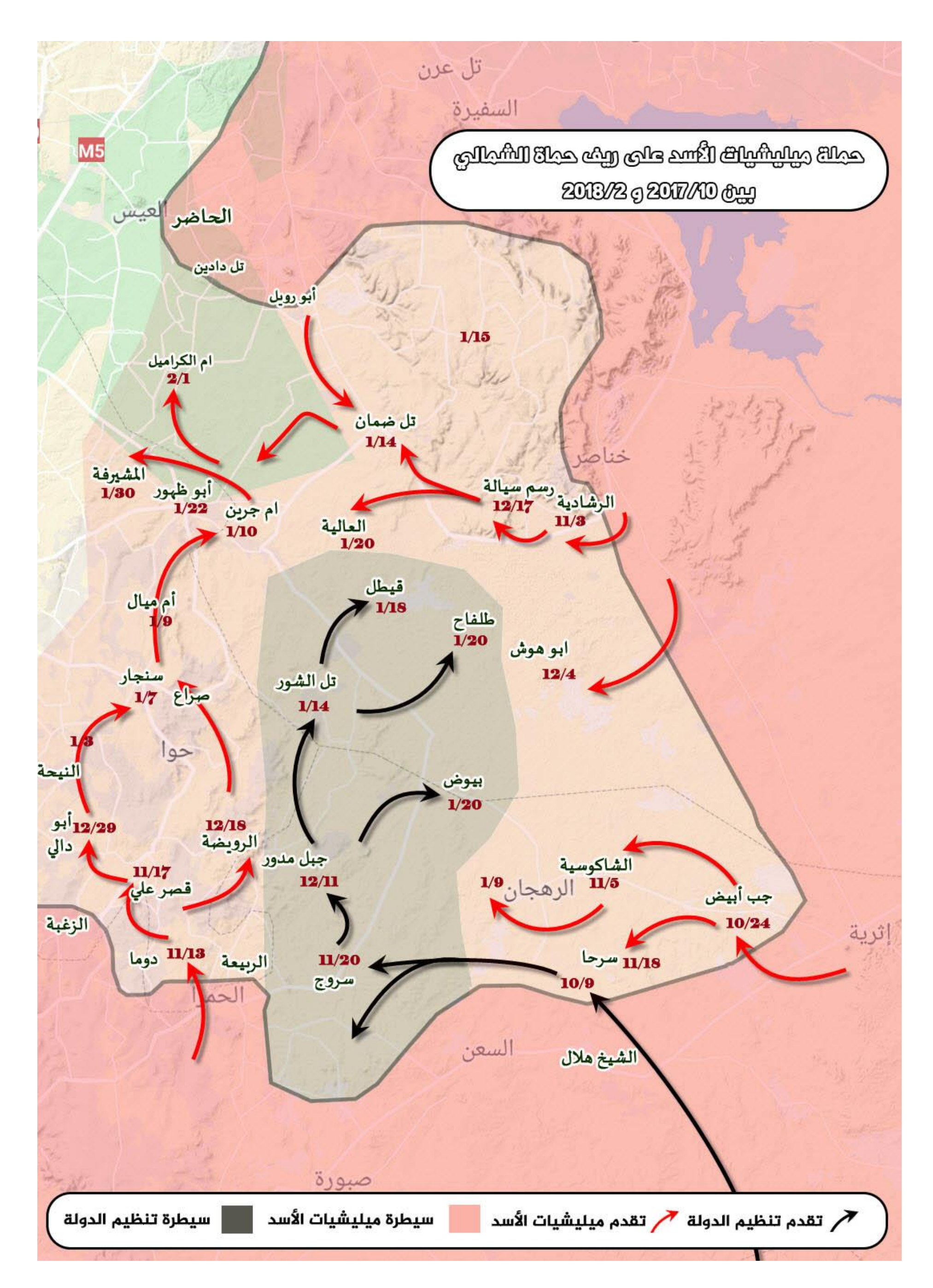


خريطة حملة الاحتلال الروسي وميليشيات الأسد على الغوطة الغربية[٥]

وفي أواخر ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧، بدأت أيضا ميلشيات الأسد مدعومة بالطيران الروسي بشن هجوم واسع على مناطق ريف إدلب الجنوبي وحماة الشمالي، فسيطرت على ٤٥ % من المناطق المحررة شمال سوريا ووصلت إلى مطار أبو ظهور العسكري في ٢١ يناير/كانون الثاني ٢٠١٨.

---

[٥] بدأت استخبارات الأسد باختراق الغوطة الغربية منذ أن أطبقت عليها ميليشياته الحصار، وبسبب القصف المتواصل وشحّ المواد الغذائية والطبية بدأت العديد من التجمعات السكانية والمسلحة في قبول التسوية مع ميليشيات الأسد، وقد دخلت فعلا كل من بلدتي ب"يت تيمة" و"كفر حور" رسميا في التسوية خلال الشهر الأول من سنة ٢٠١٧. وبعد تأكده من إصرار بقية الثوار على رفض التسوية شن الأسد حملة شرسة على "مغر المير" و"بيت جن" فاستطاع السيطرة على تلول بردعيا الاستراتيجية في ١٢/٣، وأخضع مغر المير وبيت سابر بشكل كامل في ١٢/٢٢، ثم أجبر من تبقى من الثوار في بيت جن على الخروج إما إلى إدلب أو درعا، فتم له ذلك في ٢٠١٨/١/١.

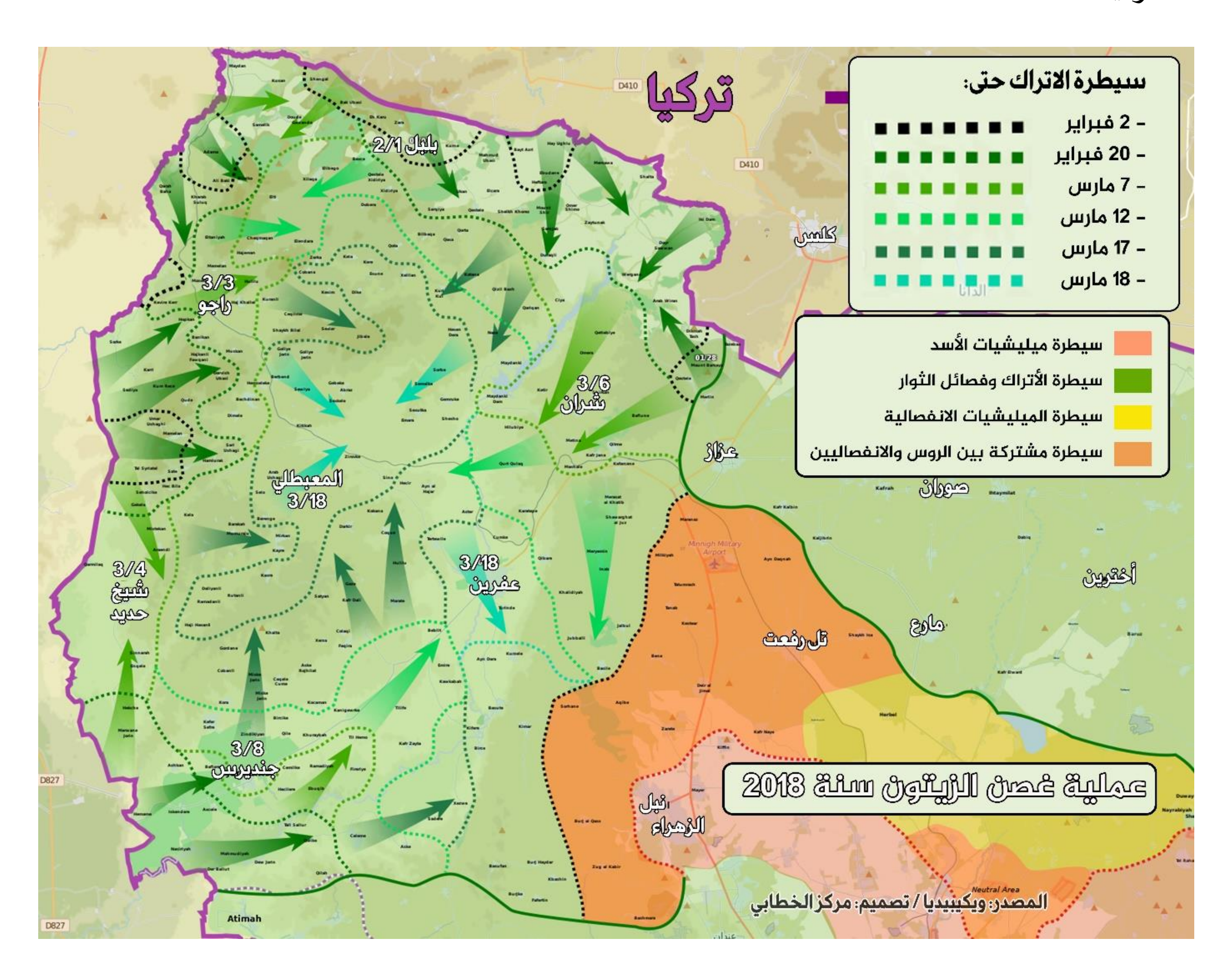


خريطة حملة الاحتلال الروسي وميليشيات الأسد على ريف حماة الشمالي[٦]

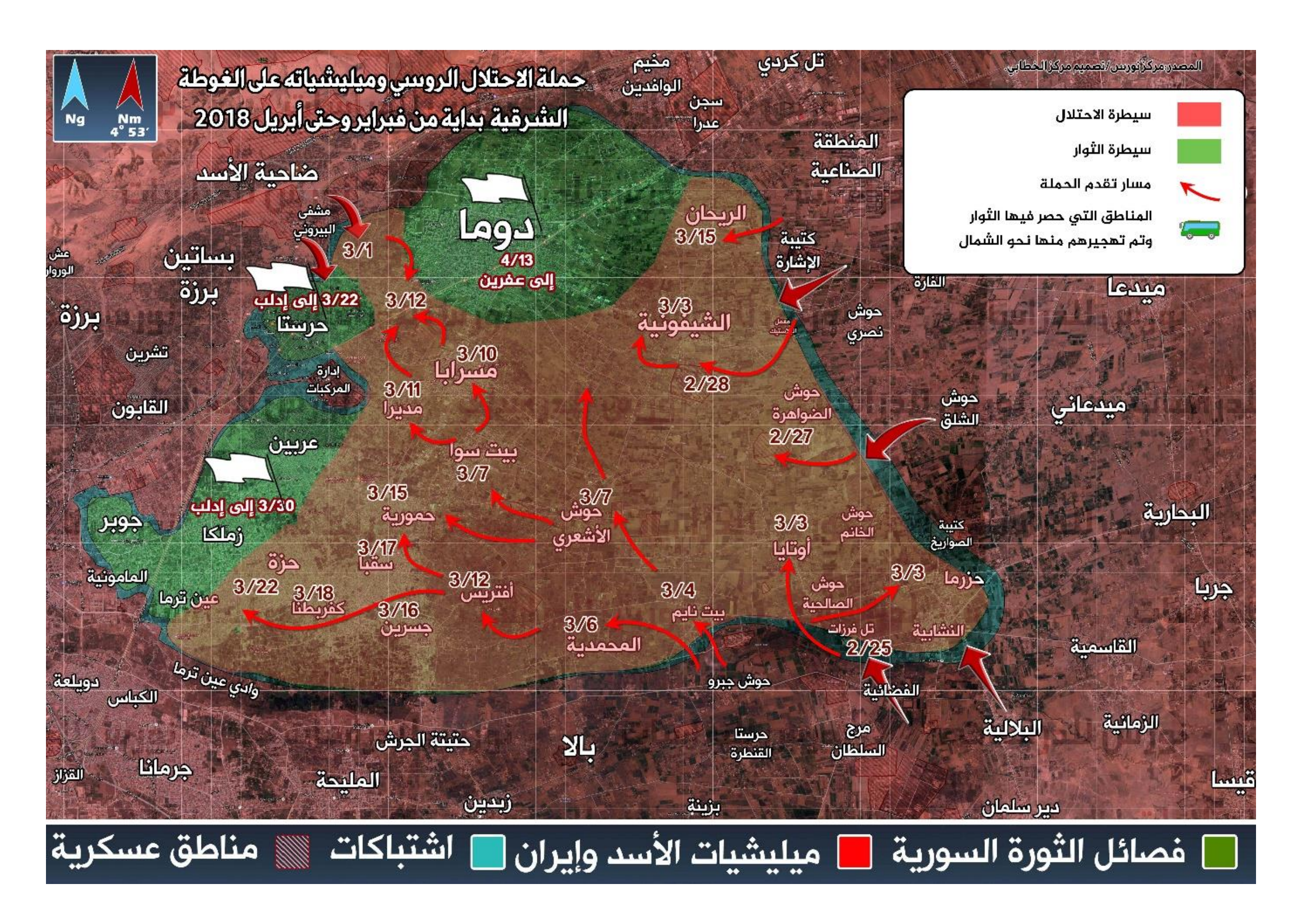
---

[٦] مع بداية أكتوبر ٢٠١٧ وصل قرابة ٣٠٠ مقاتل من تنظيم الدولة رفقة أسلحتهم الثقيلة والخفيفة إلى مناطق هيئة تحرير الشام في ريف حماة الشمالي، وقد انتقل هؤلاء من منطقة عقيربات عبر مناطق النظام دون أن تتعرض لهم ميليشيات الأسد، وهذا ما جعل الكثير من المحللين يعتقدون أن الأسد وداعش قد تعاونا على ضرب الثوار بشكل مشترك ومنسق. في ١٠/٢٤ فتحت الميليشيات محورا هجوميا من أثريا فسيطرت في نفس اليوم على جب أبيض، ومن خلال هذا المحور وصلت في ٩ / ١ إلى الرهجان. وفي ٣ / ١١ فتحت محورها الثاني لتصل من خلاله إلى تل الضمان الاستراتيجي في ١٤ يناير ٢٠١٨. وفي ١٣ / ١١ فتحت المحور الثالث لتصل من خلاله إلى سنجار في ٧ يناير ٢٠١٨. ثم التقى المحور الشرقي (تل ضمان) مع المحور الجنوبي (سنجار) لتحقيق الهدف الاستراتيجي للحملة وهو السيطرة على مطار أبي ظهور في ٢٢ يناير ٢٠١٨.

وتزامنا مع هذه الحملة، ابتدأت القوات التركية بشن حملة "غصن الزيتون" ضد الميليشيات الكردية الانفصالية، وقد انطلقت هذه العملية في ٢٥ يناير ٢٠١٨، واستمرت ثلاثة أشهر. وكانت تهدف للسيطرة على بلدة عفرين وما حولها التي تضم غالبية كردية وتمثل عمقا ديمغرافيا للميليشيات الانفصالية. الجدير بالذكر أن عملية غصن الزيتون تزامت أيضا مع حملة الاحتلال على الغوطة الشرقية.



في فبراير/شباط ٢٠١٨، أي بعد شهر واحد من توقيع اتفاق أستانا (٨)، بدأت قوات الأسد بدعم من حلفائها الروس والميلشيات المتحالفة معها بشن حملة عسكرية ضخمة على الغوطة الشرقية التي دخلت في عامها السادس من الحصار. وخلال هذه العملية، ضرب باتفاقيات أستانا والقاهرة عرض الحائط، كما تم استخدام الأسلحة المحرمة دوليا كالنابالم الحارق والفوسفور الأبيض، وتم قصف بلدة دوما بالقنابل الكيميائية في ٧ أبريل/نيسان ٢٠١٨، مما تسبب بحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان في مقتل ٣٩ مدنيا منهم ١٠ أطفال و١٥ امرأة، وجرح ٥٦٥ شخصا. وقد نتج عن هذه الحملة تشريد ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف مدني، منهم ٦٥ ألف تم ترحيلهم قسريا نحو الشمال السوري.



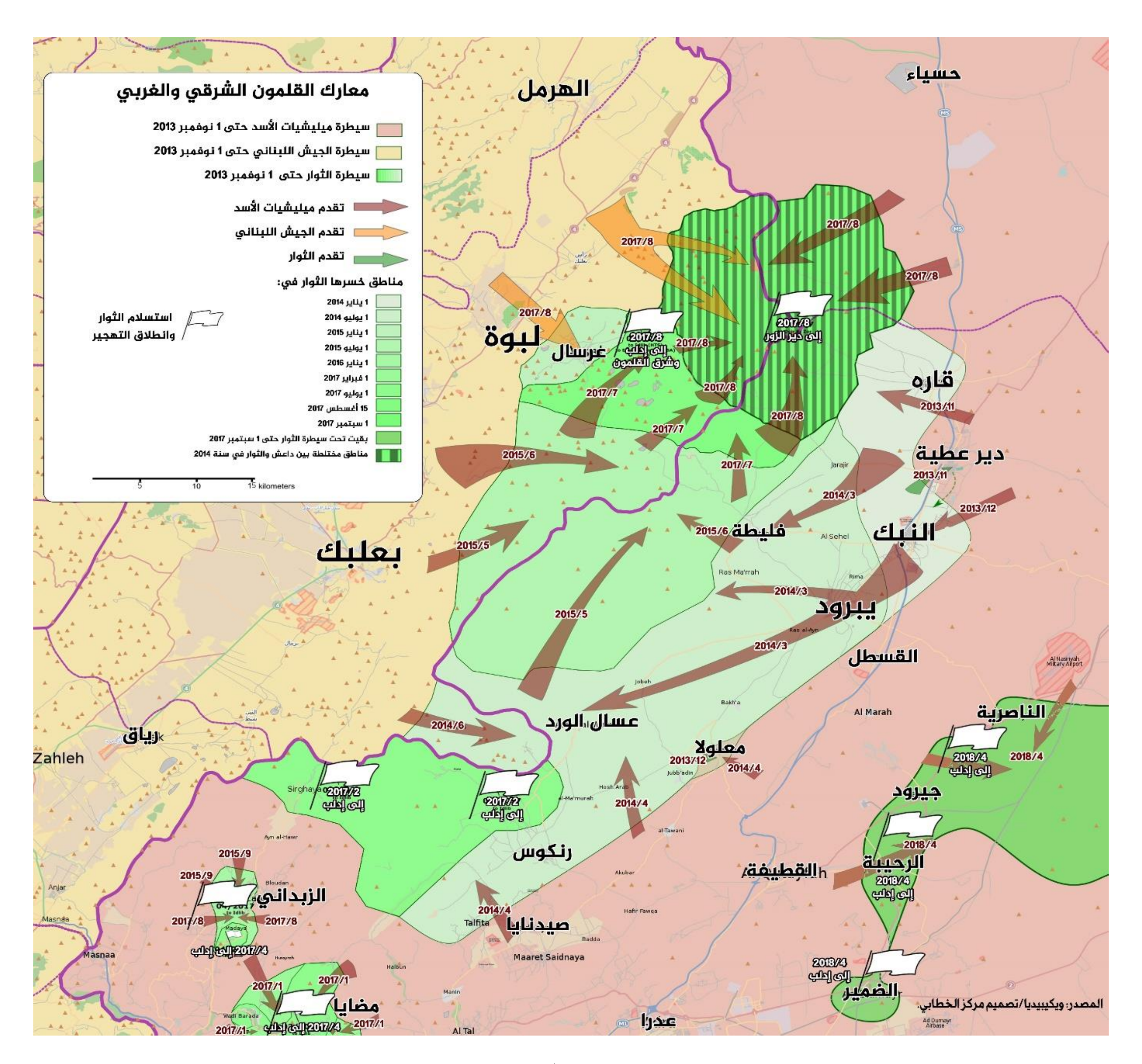
خريطة حملة الاحتلال الروسي وميليشيات الأسد على الغوطة الشرقية[٧]



أعداد كبيرة من أطفال الغوطة اختنقوا بالمادة الكيميائية

وفي ١٩ أبريل/نيسان ٢٠١٨، أي بعد أربعة أشهر من انعقاد أستانا (٨)، دفع هجوم الاحتلال الروسي وميليشياته الرديفة فصائلَ الثورة في القلمون الشرقي (الناصرية وجيرود والعطنة والرحيبة والجبل الشرقي وجبل البترا) إلى توقيع بنود اتفاق مع روسيا، قضى بتسليم السلاح، وتهجير آلاف المدنيين باتجاه مناطق الشمال السوري.

[٧] كانت الغوطة الشرقية إحدى مناطق خفض التصعيد في أستانا، كما أن الروس اتفقوا مع ثوار الغوطة على وقف اطلاق النار باتفاق آخر رديف بوساطة مصرية. ولكن بالرغم من كل ذلك، بدأ الاحتلال وميليشياته بشن حملات شرسة من القصف الجوي والمدفعي على البنية التحتية في الغوطة الشرقية منذ فبراير ٢٠١٨، وفي مارس انطلق بحملة برية واسعة استطاع خلالها تقسيم الغوطة الشرقية إلى ٣ جيوب (دوما، حرستا، عربين-زملكا)، واستطاع إجبار الثوار أخيرا على الخروج إلى الشمال بعد تسليمهم الأسلحة الثقيلة نهاية مارس ومطلع أبريل.



خريطة حملة قوات الأسد وحزب الله على القلمون الغربي والشرقي[٨]

وفي يوم الأحد ٢٩ أبريل/نيسان ٢٠١٨، أعلنت عصابة الأسد أنها توصلت لاتفاق حول تهجير مخيم اليرموك، وجاء ذلك في ظل عملية عسكرية نفذتها الميلشيات على حي القدم وحي التضامن ومخيم اليرموك ومدينة الحجر الأسود المجاورة. كما وقعت فصائل بيت سحم ويلدا وببيلا اتفاقاً مع الروس في مايو/أيار ٢٠١٨، يقضي بتهجير المعارضة قسريا من جنوب دمشق نحو الشمال السوري.

كما أُجبر الثوار في ريف حمص الشمالي وريف حماة الجنوبي نهاية أبريل/نيسان ٢٠١٨ على توقيع اتفاق مع الروس، يقضي بتسليم أسلحَتِهم الثقيلة والمتوسطة، وتسوية أوضاعهم مع عصابات

[٨] شارك الجيش اللبناني وحزب الله وجيش الأسد في هذه الحملات، وقد انطلقت منذ سنة ٢٠١٤، وكان الهدف منها تطهير القلمون الغربي والشرقي من الثوار وتنظيم الدولة. استطاعت الحملة تهجير آخر قوات الثوار من القلمون الغربي إلى إدلب ودير الزور، كما استطاعت في الشهر الرابع من سنة ٢٠١٨ تهجير ثوار القلمون الشرقي إلى الشمال السوري.

الأسد، أو الخروج من المنطقة، وهو ما تسبب في تشريد ما لا يقل عن ٣٥ ألف مدني نحو الشمال السوري.

والخلاصة أن الفترة بين أستانا (٨) وأستانا (٩) قد شهدت انهيارا كبيرا في الجبهات الثورية، وخلالها سقطت كل من:

1. ٤٥ % من المناطق المحررة شمال سوريا وصولا إلى مطار أبو ظهور العسكري.
2. الغوطة الغربية.
3. القلمون الشرقي.
4. الغوطة الشرقية.
5. مخيم اليرموك.
6. بيت سحم ويلدا وببيلا.
7. ريف حمص الشمال وريف حماة الجنوبي.

أستانا (9): 14 مايو/أيار 2018.

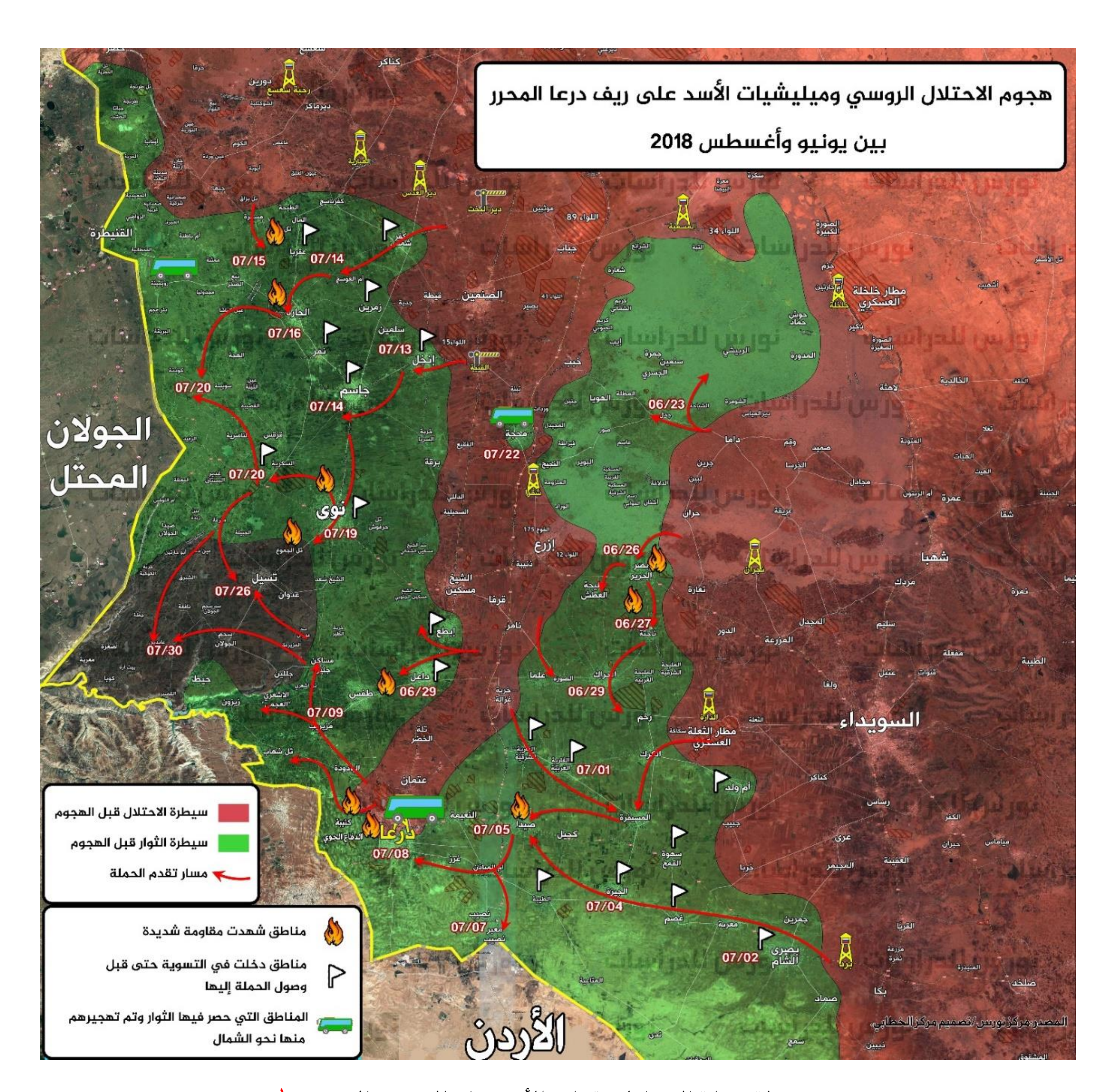
أستانا (٩) هو الأول سنة ٢٠١٨، وكان عبارة عن اجتماع تقني حضره فقط مندوبو الدول الضامنة، ولم يحضره كلٌّ من وفد المعارضة السورية والنظام. أكدت فيه روسيا وتركيا وإيران استعدادها لمواصلة الجهود المشتركة لتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي ٢٢٥٤[٩]، ودعم تنفيذ توصيات مؤتمر الحوار الوطني السوري في سوتشي. وحاولت موسكو، خلال جولات التفاوض، فرض دستور على السوريين كتبه خبراء روس، ولكن المعارضة رفضت مسعى موسكو التي نجحت في فرض رؤيتها للدستور بعد ذلك في مؤتمر سوتشي. كما لم يجرِ في هذه الجولة أي تقدم على صعيد المعتقلين، بل إن النظام شرع خلال هذه الفترة في إعلان أسماء آلاف المعتقلين الذين قضوا في سجونه تحت التعذيب.

وكما هو الحال في الغوطة وريف حمص، فقد كانت أكبر معاقل الثورة في الجنوب السوري (درعا والقنيطرة) والمشمولة باتفاق خفض التصعيد أيضا، على موعد مع حملة عسكرية ضخمة أواخر حزيران/ يونيو ٢٠١٨. ورغم أن مناطق الثوار في جنوب سوريا كانت خاضعةً لهدنة أخرى بموجب اتفاق بين روسيا وأمريكا والأردن في يوليو/تموز عام ٢٠١٧، ورغم حساسية المنطقة واتصالها بحدود كل من الأردن والجولان المحتل، والمواقف الإسرائيلية الرافضة لأي وجود إيراني قرب حدودها، والتحذيرات الأمريكية شديدة اللهجة ضد أي عمل عسكري في الجبهة الجنوبية... على الرغم من ذلك كله، انطلقت حملة الاحتلال في ٢٣ يونيو، وأجبرت جزءا من المعارضة في الجبهة الجنوبية على قبول اتفاق التسوية مع ميلشيات الأسد، وتهجير الجزء الآخر قسريا إلى شمال سوريا.

---

[٩] تم تبني قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٢٥٤ بالإجماع، وذلك بتاريخ ١٨ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٥ والمتعلق بوقف إطلاق النار والتوصل إلى تسوية سياسية للوضع في سوريا. يطالب القرار جميع الأطراف التوقف فوراً عن شن أي هجمات ضد أهداف مدنية، ويحث جميع الدول الأعضاء إلى دعم الجهود المبذولة لتحقيق وقف إطلاق النار، ويطلب من الأمم المتحدة أن تجمع بين الطرفين للدخول في مفاوضات رسمية في أوائل يناير ٢٠١٦.

وفيه تم استثناء المجموعات التي تعتبر "إرهابية"، بما في ذلك تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة. حيث سوف تستمر الأعمال الهجومية والدفاعية ضد هذه المجموعات. كما سيتم إنشاء آلية لمراقبة وقف إطلاق النار، وستجرى انتخابات حرة ونزيهة تحت إشراف الأمم المتحدة في غضون ١٨ شهراً. وسيتم التحول السياسي بقيادة سورية.



خريطة حملة الاحتلال وقوات الأسد على الجنوب السوري[١٠]

[١٠] كانت منطقة جنوب سوريا تندرج ضمن مناطق خفض التصعيد التي أقرت في أستانا، كما أنها خضعت لاتفاق استثنائي بين أمريكا وروسيا يقتضي وقف إطلاق النار بين ميليشيات الأسد والمعارضة. لكن في ١٨ يونيو، بعد سيطرته على الغوطة الشرقية، اتجه الاحتلال نحو الجنوب السوري، فبدأ أولا باختراق منطقة اللجاة، واستطاع أن يسيطر على جدل والشياحة في ٢٣ يونيو. ثم بعد ثلاثة أيام قام باحتلال بصر الحرير وحاصر المناطق الشمالية في اللجاة.

وبعد دخول العديد من الثوار في تسوية مشبوهة مع الروس تمكنت الميليشيات من الوصول إلى الحدود الشرقية لمدينة درعا في ٥ يوليو. ولم يلبث الثوار هناك كثيرا حتى أعلنوا قبولهم بالتهجير نحو إدلب. اتجهت قوات الأسد بعدها نحو المنطقة الغربية فسيطرت على أجزاء واسعة منها واضطر من بقي من الثوار أن يوافق على الخروج نحو إدلب في ٢٠ يوليو. ثم انطلقت المرحلة الأخيرة مع بداية اجتياح مناطق تنظيم الدولة المحاذية للجولان المحتل. وقد تمت السيطرة عليها بشكل كامل في ٣٠ يوليو ٢٠١٨.

أستانا (10): 30 يوليو/تموز 2018.

أقيمت هذه الجولة في مدينة "سوتشي" الروسية برضى روسي وغياب كامل للولايات المتحدة. وقد أكدت الدول الضامنة على إنهاء الحرب في سوريا وإعادة النازحين واللاجئين ورفض الأجندات الانفصالية.

يذكر أن أستانا (١٠) قد انعقد بعد أربعة أيام فقط من انتهاء الحملة العسكرية على درعا والقنيطرة وتهجير قسم كبير من المعارضة منهما بتاريخ ٢٦يوليو/تموز ٢٠١٨. كما شهدت بداية شهر أغسطس/آب من العام نفسه حملة قصف جوي على القطاع الجنوبي من ريف إدلب بصورة شبه يومية. حيث وثقت الشبكة السورية منذ سوتشي ٢٠١٨ حتى ٢٠١٩ مقتل ١٧٢٦ مدنيا على يد الاحتلال وميليشياته، منهم ٤٤٧ على يد القوات الروسية فقط.

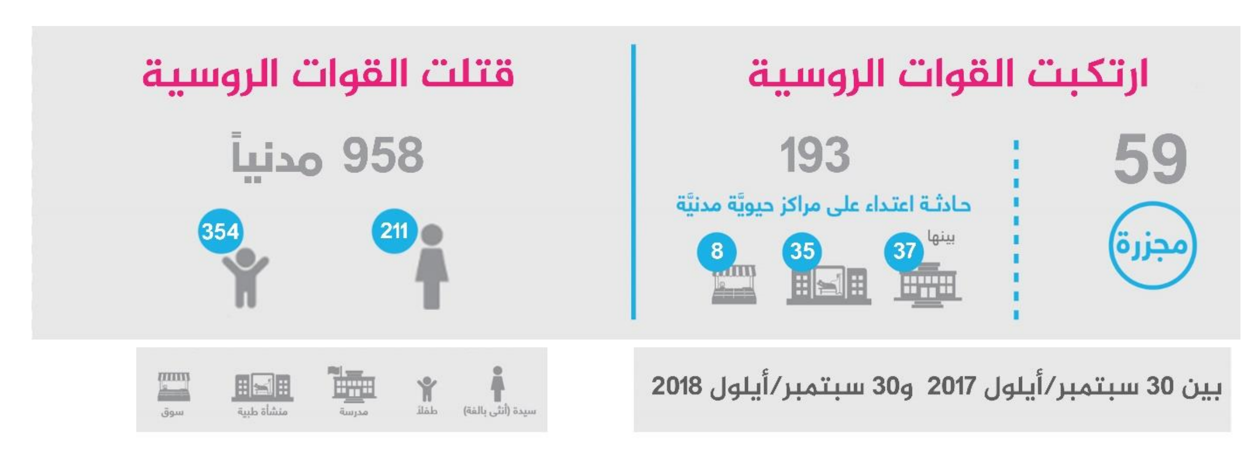
أستانا (11): 29 نوفمبر/تشرين الثاني 2018.

أخفقت كل من روسيا وإيران وتركيا في تحقيق أي تقدم ملموس بشأن تشكيل لجنة دستورية سورية خلال اجتماع أستانا (١١). وقال دي ميستورا في هذا الصدد: "من المؤسف للشعب السوري، أنها كانت فرصة مهدورة للإسراع في تشكيل لجنة دستورية ذات مصداقية يشكلها سوريون ويقودها سوريون وترعاها الأمم المتحدة".

من جهة أخرى قالت وكالة إنترفاكس الروسية: "إن الأطراف توافقت على إدراج ١٤٢ اسماً في قائمة اللجنة الدستورية السورية من أصل ١٥٠، وعلى إطلاق سراح ١٠٠ معتقل من النظام والمعارضة، وتثبيت اتفاق "سوتشي" في إدلب، وتحويله إلى وقف لإطلاق النار." فيما واصلت ميلشيات الأسد وحلفاؤها عمليات التحشيد العسكري جنوب إدلب، كما واصلت أيضا الطائرات الروسية وطائرات النظام قصفها للمنطقة بشكل مكثف، وخاصة في ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي الغربي. وهو ماضاعف أعداد النازحين وتسبب في تدمير الكثير من البنى التحتية.

لكن اجتماع الرئيسان الروسي والتركي في سوتشي الروسية في يوليو ٢٠١٨ قد أبعد شبح الحرب عن إدلب، وذلك بعد اتفاق مفاده إقامة منطقة منزوعة السلاح في إدلب، بعرض يتراوح بين ١٥ و٢٠ كيلومتر، لفصل قوات المعارضة المسلحة عن ميلشيات الأسد، بحيث يتم إنجازها في ١٥ أكتوبر/تشرين الأول المقبل، كما ستعمل البلدان الضامنة على ضمان احترام هذه المنطقة عبر تسيير دوريات مشتركة.

وبحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان، بين ٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٧ و٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٨، أي خلال السنة الثانية من عمر مسار أستانا، تسببت القوات الروسية لوحدها بـ ٥٩ مجزرة بين السكان المدنيين، فقتلت ٩٥٨ مدنيا، بينهم ٣٥٤ طفلا، و٢١١ سيدة. كما اعتدت طائراتها على ١٩٣ منشأة مدنية حيوية، بينها ٣٧ مدرسة، و٣٥ منشأ طبية، و٨ أسواق.



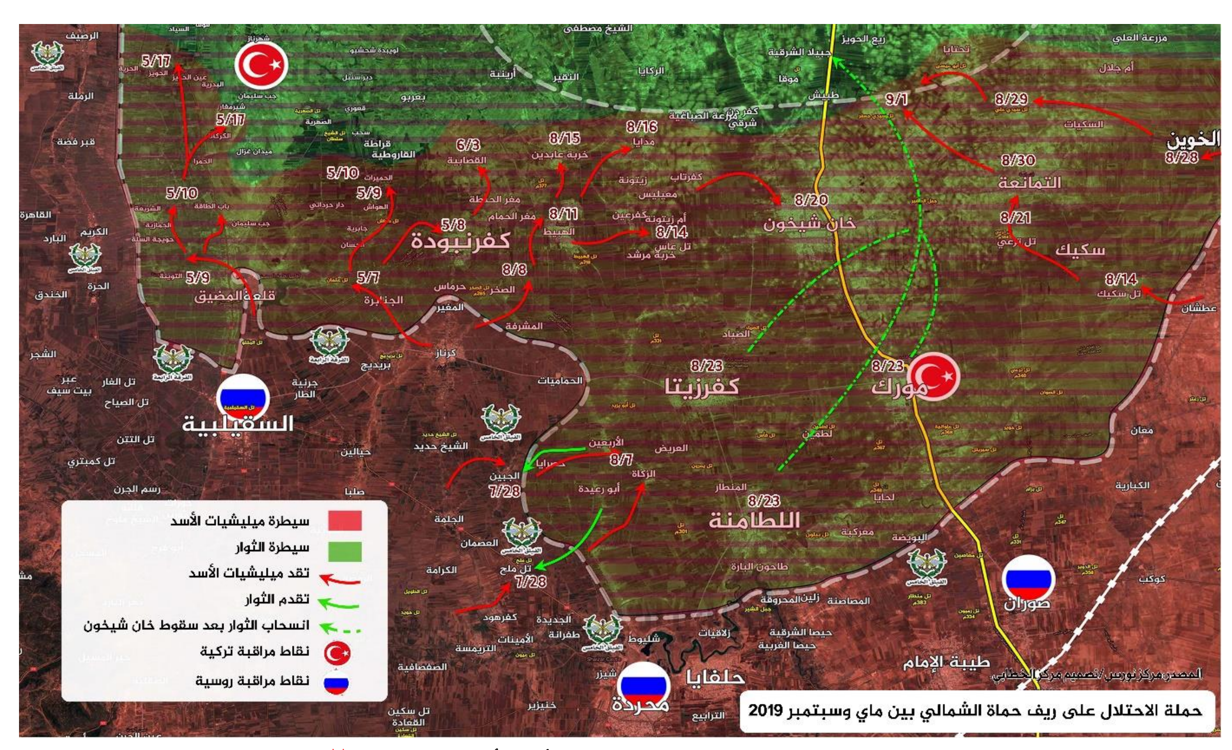
أستانا (12): 25 مارس/آذار 2019.

ناقش مؤتمر أستانا (١٢) عدة ملفات أساسية وعلى رأسها موضوع خفض التصعيد في إدلب وتشكيل اللجنة الدستورية. ولم يأت الاجتماع بأي جديد عبر بيانه الختامي الذي تضمن ١٤ بندا، باستثناء تعيين أعضاء اللجنة الدستورية الذين يبلغ عددهم ١٤٤ عضوا، وإدانة قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالاعتراف بسيادة إسرائيل على الجولان السوري المحتل. كما استمرت محاولات وفد النظام السوري لتأكيد ضرورة الحل العسكري في منطقة إدلب بحجة القضاء على هيئة تحرير الشام، مع تلميحات من قبل المبعوث الروسي ألكسندر لافرنتييف حول جواز استمرار القصف على إدلب وما حولها بحجة استهداف التنظيمات الإرهابية.

وفي بداية شهر مايو/أيار ٢٠١٩ نفذ الاحتلال الروسي وميليشيات الأسد حملة عسكرية هي الأضخم على ريف حماة (من الناحية الشمالية الغربية) وريف اللاذقية الشرقي، واستطاعت من خلالها السيطرة على بعض المناطق أهمها مدينة كفرنبودة، كما قامت بقصف بلدة كبينة في ١٩ مايو/أيار بالقنابل الكيميائية. وبحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان أنه منذ أستانا (١٢) أي منذ أبريل/نيسان ٢٠١٨ وحتى ٢٠١٩ قامت قوات الاحتلال بقتل ١١٥١ مدنيا، منهم ٢٨٦ طفلا.

أستانا (13): 1 أغسطس/آب 2019.

تزامنت الجولة (١٣) مع الحملة العسكرية الأخيرة التي شنها الاحتلال وميلشياته على منطق الثوار شمال سوريا، والتي وثق خلالها الحقوقيون مقتل أكثر من ٦٠٠ مدني. تضمن البيان الختامي المشترك لهذه الجولة تأكيد الدول الضامنة "روسيا، تركيا، إيران" على سيادة ووحدة أراضي سوريا، واحترام القرارات الدولية ورفض احتلال الجولان السوري، واستبعاد الحل العسكري للأزمة، وإكمال مسار تشكيل اللجنة الدستورية. كما اتفقت الأطراف على ضرورة تطبيق وقف إطلاق النار في إدلب، فضلا عن تأكيدها على ضرورة محاربة التنظيمات الإرهابية.



خريطة حملة الاحتلال وقوات الأسد أواسط ٢٠١٩ [١١]

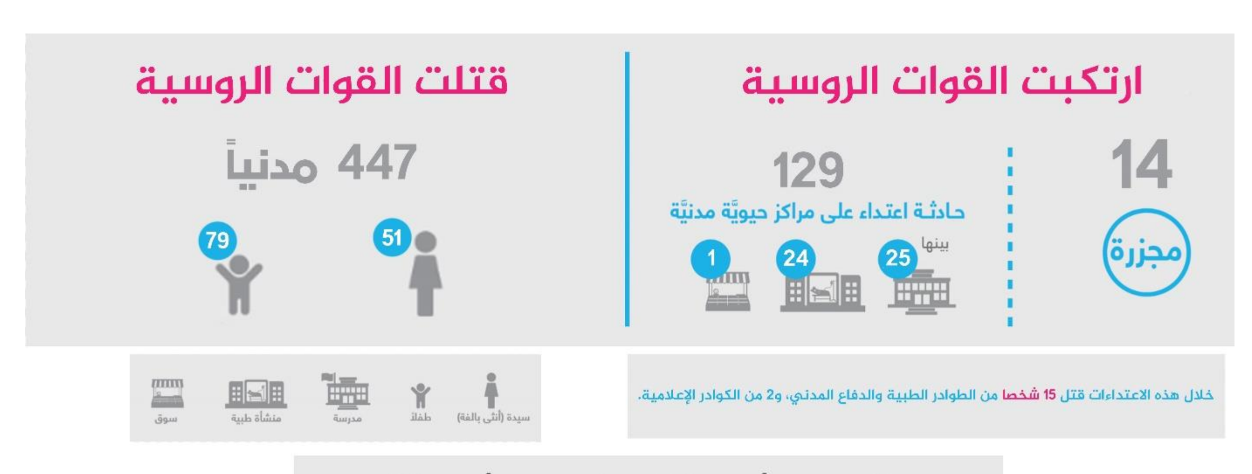
ورغم التوافق على استبعاد الحل العسكري للأزمة السورية إلا أن الاحتلال الروسي استكمل الهجوم العسكري على ريفي إدلب وحماة، وتمكن من السيطرة على مدينة خان شيخون وعدد من القرى والبلدات المحيطة بها بعد تدمير ٧٥ % من مبانيها بشكل كامل أو جزئي، وسط استمرار حملة القصف الجوي والمدفعي الذي طال أغلب مدن وبلدات الشمال المحرر، مما تسبب في تهجير أكثر من ٦٣٠

---

[١١] انطلقت الحملة مطلع الشهر الخامس من سنة ٢٠١٩، وكانت على محورين: ريف اللاذقية الشرقي وريف حماة الشمالي. فشلت مليشيات النظام في التقدم على المحور الأول بعد صد الثوار لأكثر من ٣٠ هجوما في "كبانة"، غير أنها استطاعت السيطرة على كفرنبودة في ٥/٧ والسكيك ٨/١٤ وصولا إلى بلدة خان شيخون في ٨/٢٠، وهو ما اضطر الثوار في اللطامنة وكفرزيتا ومورك إلى الانسحاب. حاول الثوار وقف تمدّد الاحتلال من خلال تحرير تلّ ملح وجبين غير أنهم لم يفلحوا في ذلك، إذ سريعا ما استطاع العدو استرجاعهما.

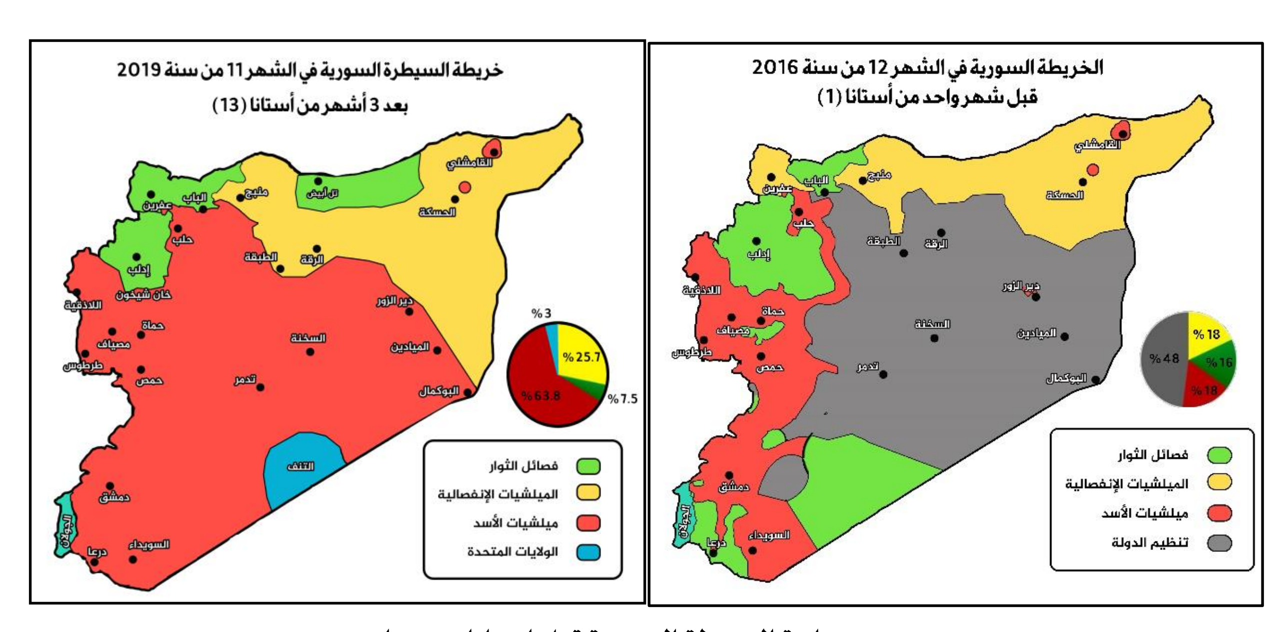
ألف شخص. وقد ظهر جليا هذه المرّة دور القوات البرية الروسية خلال العمليات الهجومية والمدفعية.

وبحسب الشبكة السورية، فإن القوات الروسية لوحدها بين ٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٨ و٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٩ -أي خلال السنة الثالثة من عمر مسار أستانا- قد تسببت فيما لا يقل عن ١٤ مجزرة، وقتلت ٤٤٧ مدنياً، بينهم ٧٩ طفلا و٥١ سيدة. كما كانت وراء ما لا يقل عن ١٢٩ حادثة اعتداء على مراكز حيوية مدنية، منها ٢٤ حالة اعتداء على منشآت طبية. و٢٥ على مدراس، و١ على أسواق. وخلال هذه الاعتداءات قتل ١٥ شخصا من الطوادر الطبية والدفاع المدني، و٢ من الكوادر الإعلامية.



الخاتمة

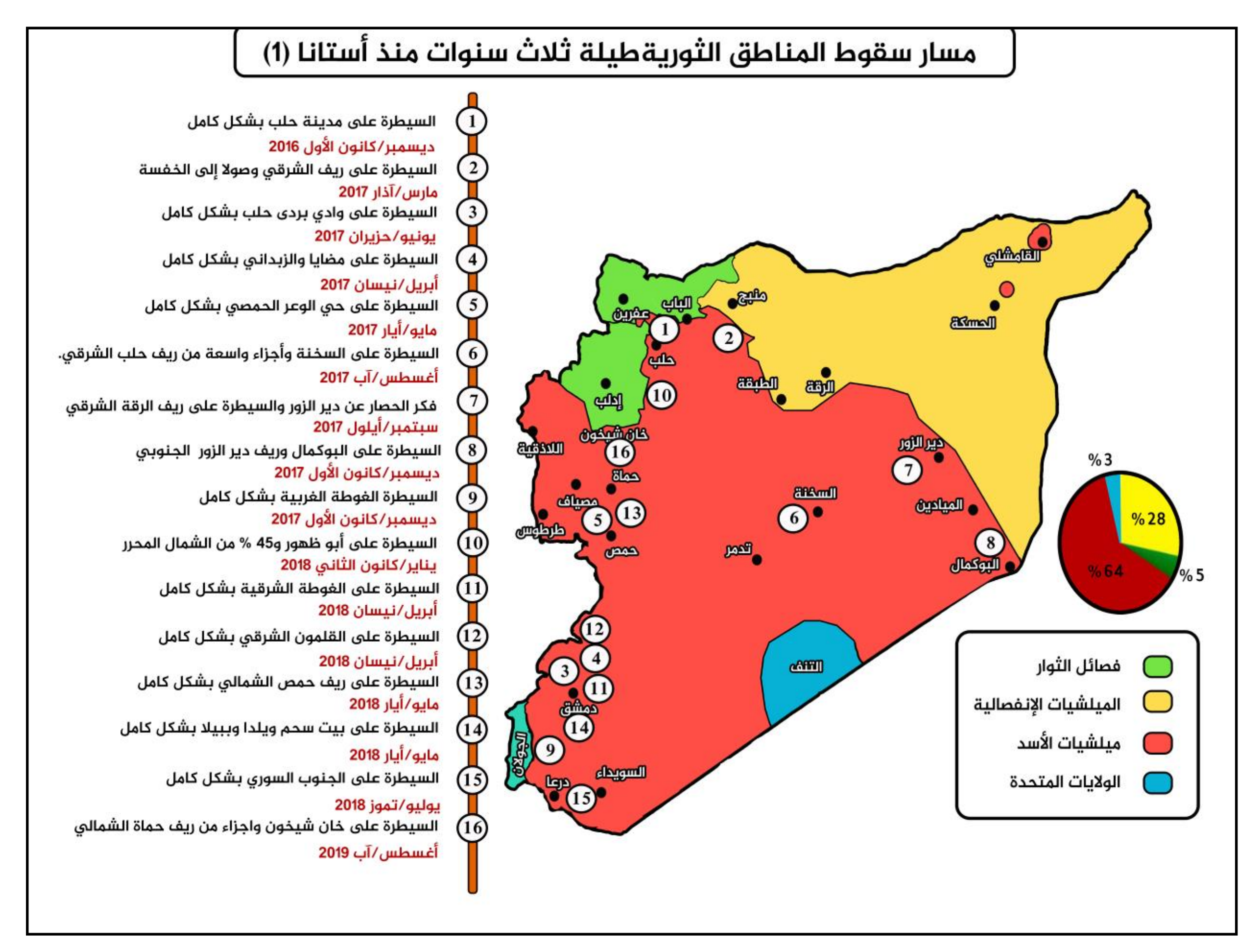
منذ يناير/كانون الثاني ٢٠١٧ وحتى أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٩، عقدت روسيا وإيران وتركيا ١٣ مؤتمرا ضمن مسار إستانا، هذا غير اللقاءات الفردية التي كانت تجري بين رؤساء هذه الدول الثلاث الضامنة. وخلال هذه الأعوام تمكن الاحتلال الروسي من السيطرة على مناطق الثوار التي شملها خفض التصعيد في الغوطة وريف حمص وجنوب وشمال سوريا، هذا غير سيطرته على منطق تنظيم الدولة في أرياف حمص وحماة ودير الزور والرقة.



مقارنة الخريطة السورية قبل إستانا وبعدها.

وفي ضوء هذه النتائج التي تحققت طيلة مسار أستانا، يتضح أن الروس قد دعموا هذا المسار لتحقيق العديد من الأهداف العسكرية والسياسة والاقتصادية، لعل من أبرز الأهداف العسكرية: "تقليص جبهة العمليات التي كانت تشمل كل سوريا، وتجميد الجبهات الحربية الكثيرة المبعثرة، للتركيز على الجبهة الأهم بحسب الأولويات التي تقتضيها المرحلة". ولعل من أبرز الأهداف السياسية التي أرادوا تحقيقها: "التملص من الضغوط والرقابة الدولية التي كانت تتعرض لها روسيا في مسار جنيف، وتحييد اللاعب التركي عن الرؤية الغربية للحل في سوريا، وإفضاء الشرعية على الجهود العسكرية الوحشية التي مارستها روسيا على الشعب السوري الأعزل". أما الأهداف الاقتصادية فقد تحققت فعلا بعد حصول روسيا على: ميناء طرطوس، وحقل شاعر النفطي، ومناجم الفسفات في تدمر، ومطار دمشق الدولي، إضافة إلى سيطرتها على تجارة الأسمدة في سوريا وإشرافها على معظم معابر الاستيراد والتصدير الحدودية.

أما بالنسبة لتركيا فقد استطاعت من خلال أستانا الحصول على حليف دولي يمكّنها من وأد مشروع الدولة الكردية على حدودها ولو جزئيا، وقد تمكنت فعلا من السيطرة على مدينة الباب وما حولها سنة ٢٠١٧، وعفرين وماحولها سنة ٢٠١٨، وتل أبيض وما حولها سنة ٢٠١٩، والغالب أنه لولا تألّفها للروس باتخاذ مسار أستانا لما استطاعت أن تحصل على الشرعية اللازمة لدخول هذه المناطق التي تعد سورية. ولا يفوتنا أن نذكر أن إيران استطاعت خلال هذه المرحلة تثبيت نفوذها في حلب بشكل كامل، والسيطرة على خط البوكمال/الميادين ليكون منفذها الحدودي مع العراق، إضافة إلى اقتراب حزب الله من الجولان المحتل بعد سقوط الجبهة الثورية الجنوبية.



وأما بالنسبة لحصة السوريين من أستانا، فقد كانت أصلا الجهاة السياسية المفاوضة مضطربة ومقسّمة، حيث لم يكن الوفد المفاوض يمثل في الحقيقة الثوار أصحاب الثقل الميداني والعسكري في سوريا، كما أن الوفد نفسه كانت رؤيته للحل مشتة وجهوده متفرقة، وقد مر معنا كيف التزم ثوار الغوطة بدايةً بأستانا، ثم اتجهوا نحو القاهرة في مسار بعيد عنه معتقدين أن الوساطة المصرية ستمنعهم من بطش الروس، كما أن ثوار الجنوب السوري كانوا قد دخلوا مسبقا في اتفاقيات مستقلة مع الروس من خلال الولايات المتحدة والأردن. وقد ساهم كل هذا في إضعاف الموقف السياسي للثورة بشكل عام واستفراد الروس بالجهات الثورية واحدة تلو الأخرى.

وأما عن الوضع الإنساني، فلم يوقف هذا مسار أستانا عمليات الاعتقال والتعذيب التي كانت ولازالت تنفذها ميليشيات الأسد، حيث بلغت حصيلة ضحايا الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري الإجمالية في أغسطس/آب ٢٠١٩: (١٢٣,٤١٧) حالة، من بينهم ٣٥٠٧ طفلا، ٧٨٥٢ سيدة. وبعكس ما يروّجه الروس حول تحقيق السلام والأمن وإعادة اللاجئين، فإن التدخل الروسي قد تسبب في تهجير ٣,٣ مليون مدني من مناطق الغوطة الشرقية والغربية وجنوب سوريا وشمال غرب سوريا.

ومنذ تدخلها في سوريا حتى ٣٠ أيلول ٢٠١٩، قتلت القوات الروسية ٦٦٨٦ مدنيا، منهم ١٩٢٨ طفلا، و٩٠٨ سيدة. وتم تسجيل ما لا يقل عن ٣٣٥ مجزرة. كما تعمدت طائراتها الاعتداء على ما لا يقل عن ١٠٨٣ منشأة مدنية حيوية، منها ١٩٠ منشأة طبية، و٢٠١ مدرسة، ٥٦ سوقا. وقد تسببت هذه الاعتداءات في مقتل ١٠٧ شخصا من عناصر الدفاع المدني والعناصر الطبية، و٢١ إعلاميا. وقد سُجّل أيضا خلال هذه الأعوام تنفيذ ٢٣٦ هجوما عنقوديا من قبل الروس، وما لا يقل عن ١٢٥ هجوما حارقا، حيث أعلنت روسيا أنها خلال هذه الهجمات قد قامت بتجريب ٢٣١ نموذجا من الأسلحة المحدثة لتسويقها بعد ذلك في الأسواق، من بينها دبابات وطائرات وصواريخ ودرونز.



ساندت القوات الروسية النظام السوري في 3 هجمات كيميائية على الأقل

قرابة 3.3 مليون مشرَّد قسرياً، جراء تداعيات العمليات العسكرية لقوات الحلف السوري الروسي الإيراني



والحقيقة أن الخاسر الأكبر في أستانا هو الثورة السورية، حيث دفع الشعب السوري ثمن هذا الاتفاق من أرضه وأبنائه وبنيته التحتية. كان اتفاق خفض التصعيد الذي نتج عن مباحثات أستانا في جولتها الرابعة قد أقر أربع مناطق لخفض التّصعيد: (محافظة إدلب وما حولها، وشمال محافظة حمص، والغوطة الشرقية بريف دمشق، وأجزاء من محافظتي درعا والقنيطرة)، وحدّد خرائطها، ونصّ على إيقاف العمليات العسكرية، وإدخال المساعدات الغذائية، وعودة النازحين، غير أن شيئا من ذلك لم يحدث. وقد ظهرت لنا بوضوح بوادر انهيار الاتفاق منذ أيلول/ ٢٠١٧ -أي بعد مُضي أربعة أشهر فقط على دخوله حيز التنفيذ- عندما شنت قوات الاحتلال حملة عسكرية واسعة على حدود منطقة خفض التصعيد الرابعة (منطقة إدلب) وانتهت بسيطرتها على ٤٥ % منها.

وبين شباط/ ٢٠١٨ حتى نيسان من العام ذاته، رَكّز الاحتلال الروسي وميليشياته السورية والشيعية عملياتهم في الغوطة الشرقية واستخدموا مختلف أنواع الأسلحة والذخائر شديدة التدمير، ولم تتوقف العمليات العسكرية إلا بعد استسلام مدن وبلدات الغوطة الشرقية واحدة تلو الأخرى في ظلّ مفاوضات تسبّبت في تشريد ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف نسمة.

ثم مع نهاية نيسان/ ٢٠١٨، انتقلت قوات الاحتلال إلى منطقة خفض التصعيد الثانية (ريف حمص الشمالي وريف حماة الجنوبي)، ولم تستمر عمليات القصف طويلاً قبل أن تخضع المنطقة لاتفاق مماثل لاتفاق الغوطة الشرقية، هُجّرَ على إثره ما لا يقل عن ٣٥ ألف مدني من أهالي المنقطة باتجاه الشمال السوري.

وفي منتصف العام ذاته بدأت قوات النظام السوري مدعومة بسلاح الجو الروسي بتنفيذ غارات جوية مُكثفة وعمليات اقتحام وسيطرة في منطقة الجنوب السوري، وبدأت حملة عسكرية عنيفة قتل فيها المئات وتشرد فيها مئات الآلاف، وأخيرا تم إرضاخ السكان للقبول بتسويات مُذلة.

أما منطقة إدلب التي بقيت آخر مناطق خفض التصعيد وتضم (محافظة إدلب وأجزاء من محافظات حلب وحماة واللاذقية)، بالرغم من أنها تعرضت لحملة شرسة في أيلول ٢٠١٨، عادت قوات الاحتلال لتقوم بحملة أخرى على ريف حماة الشمالي انطلقت في ماي ٢٠١٩. وبالرغم من وجود نقطتين تركيتين على حدود الجبهة في قريتي شير مغار ومورك، دمرت قوات الاحتلال مدينة خان شيخون وجميع القرى المحيطة بها مخلفةً آلاف القتلى ومهجرة لأكثر من ٦٣٠ ألف مواطن. ولم تغن نقطة المراقبة التركية التي تمركزت في مورك عن نفسها وعن الثوار شيئا، إذ تعرضت للقصف عدة مرات وأُطبق عليها الحصار بعد سقوط خان شيخون.

وحتى موعد انعقاد أستانا (١٤)، لازالت محافظ إدلب تتعرض حتى اليوم إلى حملات قصف وحشية على المخيمات والمدن، تسبب آخرها في مجزرة مخيم "قاح"، ولازالت ميليشيات الأسد تحاول التقدم بشكل دوري على جبهة ريف اللاذقية الشرقي (كبانة) وريف إدلب الجنوبي.

أما بالنسبة لأولئك الذين اختاروا التسوية والبقاء في مناطق ميليشيات الأسد فقد سجلت الشبكة السورية لحقوق الإنسان العديد من حالات الاعتقال والخطف والقتل والتعذيب التي قامت بها العناصر الأمنية التابعة للأسد في حق عناصر التسوية. وقد ذكر بيان مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان الذي خصّصته للحديث عن المنطقة الجنوبية أنها الأمم المتحدة قد تلقت بين ٢٦ /تموز/ ٢٠١٨ و٣١/ آذار/ ٢٠١٩ تقاريرا تُفيد باعتقال ٣٨٠ شخصا في المنطقة الجنوبية لوحدها، تم الإفراج عن ١٥٠ منهم، في حين تعرض ٢٣٠ شخصا على الأقل للاختفاء القسري.

مصادر البحث:

- الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
- المرصد السوري لحقوق الإنسان.
- مركز نورس للدراسات (قسم الخرائط، قسم الأخبار).
- خرائط مركز جسور للدراسات.
- خرائط مركز عمران للدراسات.
- ويكيبيديا.
- لقاءات ميدانية مع قادة في الثورة السورية.